

## المبحث الثالث

\*\*\*\*\*

المؤلف ( الراوي )  
بين الصراحة والتعري



إذا كان النص الرئائي بنية نصية (رسالة كلامية) يقوم بها راوٍ (سارد) إلى مرسل إليه (متلقي) فالراوى يقوم هنا - بنقل المرؤى إلى المرؤى عليه (المتلقى) وهنا يبرز دور التبئير أو زاوية الرؤية للراوى والتي من خلالها يكون تشكيل النص باعتباره رسالة نصية مرسلة إلى مرؤى عليه .. ولكن الراوى فى السيرة الذاتية يختلف عن الراوية يختلف عن الراوية ، لاعتماده على الحقائق ، غير أن الراوية تعتمد على التخيل ، ولهذا المنظور لم يصبح الراوى كشخصية (البطل) فى الراوية ، حين أطلق عليه رولان بارت R.Barthes كائن من ورق ، فالراوى فى السيرة الذاتية شخصية واقعية (حقيقية) لحما ودما ، وله وجوده المادى فى الواقع ، ويقوم بالحكى ملتزما بالصدق (الواقعى) للأحداث التى يروىها وعلى مقدار صدقة يكون تأثير نصه فى المتلقى ، لأنه يعبر عن أعماقه ، فيكون حديثه من القلب إلى القلب ولا يتسنى لسيرته الخلود إلا إذا كان متصفا بالصدق ، معبرا عن شعوره الدفين وأعماق نفسه ، يقول محمود تيمور " لا فن إلا إذا كان مصدر الوحى أعماق النفس وأعوار الشعور .. ولا صدق إلا إذا تحققت الاستجابة والتأثير بين الكاتب وما يعالج من تصوير وتعبير" <sup>(١)</sup> ، وفى صدقه يطلعنا على أعماق الحياة وأسرارها " وخلود أى أثر أدبى هو مدى اتصاله بالحقائق التى تجعل الحياة الإنسانية أكثر عمقا وأوسع شمولاً " <sup>(٢)</sup> .

بيد أن مبدأ الصدق الخالص يصعب تحقيقه لأمرين : أمر سيكولوجى ، وأمر أخلاقى يرتبط بالخلج والحياء ، فإذا كانت السيرة تعتمد على التذكر ، والتذكر بعد فترة طويلة ، يحول دون تذكر المواقف بتفاصيلها ، وفى هذا يقول جورج مور "إن المرء ليطالع

(١) فن القصة محمود تيمور ص ٨٢ نقلا عن طه حسين بين السيرة والترجمة الذاتية د. رشيدة مهران ص ١٩

(٢) فن القصة محمد يوسف نجم بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٥٥ ص ٦٠

ماضى حياته مثلما يطالع كتابا قد مزقت بعض صفحاته وأتلف منها الكثير" (١) ومرجع ذلك ما يعترى الإنسان من نسيان ولذا كان جوته صريحا فى قوله " أنا لم أغير شيئا يتعلق بما أعلمه ، ومع ذلك لا بد أن أكون قد غيرت أشياء كثيرة من غير علمى .. وإعادة الخلق الطبيعي للحياة برمتها كما عاشها صاحبها إعادة محكمة لهو أمر من المستحيل (٢) إضافة إلى عامل النسيان (غير المقصود) . نجد النسيان (المقصود) وهو الأمر الثانى الذى يحول دون تحقق الصدق الخالص ، وهو نسيان مقصود متعمد حين يمنحنا الحياء والخجل من ذكر صغائر فى حياتنا قد لا تشرق الصفحة التى نريدها ناصعة البياض ، فليست هناك سيرة ذاتية تمثل الصدق الخالص ، فقد كان جون محقا كما قال موروا حين سمى سيرته (الشعر والحقيقة) إشارة منه إلى حياة كل فرد إنها هى مزيج من الحقيقة والخيال (٣) .

ويتحدث الدكتور محمد عبد الغنى حسن عن استحالة الصدق الخالص مراعاة للجانب الأخلاقى قائلا " هل يستطيع إنسان أن يكتب عن نفسه ما لا يود أن يراه الناس منه ويعرفونه عنه ؟ وهل يستطيع إنسان أن يبدي نفسه للناس على سجيته وفى مبادئه من غير أن يحاول ترميم العيوب التى لا يجب أن يطالع غير، عليها" (٤) .

وقد نادى غير واحد من الدارسين بعدم اقتحام الحياة الخاصة (المحرجة) فن الحكى ، يقول أدل " من الطبيعي أن تكون كتابة حياة أديب نوعا من الفضول الشائئ ومن اقتحام الحياة الخاصة إن لم تهدف دائما إلى إضاءة الجوانب السحرية والغامضة فى عملية الإبداع " (٥) .

(1) See Shumaker :E nglish aut obiography P.38

(2) See . Shumaher op . cit p. 48

(3) See . Aspectof Biographys p. 179

(٤) التراجم والسير د. محمد عبدالغنى حسن ص ٢٣

(٥) فن السيرة الأدبية إيدل ص ١١

وعاب هنرى جيمس الطريقة التي نشرت بها جورج صائد غرامياتها ، وعاب - أيضا - كاتب سيرتها وقال : " إن ترك كل شئ لكاتب السيرة لتسهيل مهمته يشبه تعرى الإنسان أمام الجمهور - وعندما يعرى الإنسان حياته كما فعلت جورج صائد وكاتب سيرتها فما الذى يبقى جديراً بالمعرفة ؟ ! " (١) .

وهذا الرأى نراه صراحة عند أحمد أمين فى سيرته حين قال " وضعت هذا الكتاب ولم أذكر فيه كل الحق ، فمن الحق ما يرذل قوله ، وتبنا الأذن عن سماعه ، إذا كنا لا نستطيع عرى كل الجسم ، فكيف نستطيع عرى كل النفس ؟ ! " (٢) .

هذان أمران يتعارضان والصدق الخالص (النسيان الطبيعي والنسيان المقصود) ويفضل لكاتب السيرة فى نسيانه المقصود مخافة من الإحراج وخدش الحياء أن يلمح إلى الأخبار المرحجة تلميحا ، دون ذكرها تفصيلا وتوضيحا خاصة فى ذكر علاقته الجنسية وهذا ما سوف نقف عليه فى موضعه .

وليس من الصدق أن يذكر الكاتب تفاصيل حياته العادية من أكل وشرب ومواقف عادية لا تكشف عن شخصية صاحبها وتطورها فكريا وروحيا وجدانيا ولذا قال ميخائيل نعيمة " أما حياتى الخاصة فمن أين أرتزق ، وماذا أكل وأشرب وألبس وكيف أنام وأقوم ، وأعمل ... أما هذه الأمور كلها وكثير من نوعها فما ظننت يوما أن للناس أى نفع فى معرفتها لذلك أهملتها الإهمال كله فى كتاباتى " (٣) .

(١) م نفسه ص ٤٩

(٢) حياتى أحمد أمين ص ٤

(٣) سبعون المرحلة الأولى ميخائيل نعيمة ص ٩

ونقف على ملمح الصدق عند كتاب السيرة العرب موضحين دور الصدق في جودة النص وثرائه ثم نقف على التعرّى ، وبعدها سنقف عن افتقاد بعض السير للصدق إما لإنكار الكاتب لذاته ، وإما لشموخه واعتزّزه المفرط بنفسه .

## ( ٢ )

١-٢ لعل أول ما يميز كتاب الأيام ، وجعله قريبا إلى قلوبنا صدق طه حسين في تعبيره عن حياته البائسة ، هذا الصدق الذي جعلنا نعيش معه لحظات حياته مشاركين له في آلامه وشجونته ، متذكرين لهذه المواقف التي مربها ، والتي أبدعها في أسلوب أدبي شفاف ، إن طه حسين في الأيام يتحدث في الأيام كأنه حديث للنفس ، في لحظة صفائها ومواجهتها لنفسها ، لذا قال عبد الرحمن صدقي " قرأت كتاب الأيام أكثر من مرة ، فما أحسست مرة إلا أنه حديث من يحدث نفسه ، وقد خلا بها يناجيها ويسترجعها " (١) .

لقد أجاد طه حسين في تصويره بصدق لمواقف حياته خاصة المؤلة تصويراً صادقا يشعر المتلقى معه وكأنه يتحدث عنه لصدق تصويره لأعماق النفس وأعوار الشعور لذا يتوحد معه المتلقى ويعانى معه ما عاناه ، وقد قال محمد سيد كيلانى "وهو بصفة عامة جيد تصوير المواقف المؤلة تصويرا يترك في نفس القارئ أثرا عميقا حتى لكأننا شاهدنا ما شاهد ، وحضرنا هذه المواقف المؤلة ولمسنا كل شئ فيها ؛ ورأيناها رأى العين " (٢) ولولا صدق طه حسين لما كان لتصويره هذا الأثر في نفوسنا . وقد صور لنا طه حسين طفلا وشابا ورجلا بلهجة صادقة ، لا يتووع أن يذكر المواقف المخجلة التي تجعله صغيرا في أعيننا ، فمن البداية يصور خيال الطفل الذى يرى فى السياج والقناة التى أمامه هى آخر

(١) طه حسين كما يعرفه كتاب عصره عبد الرحمن صدقى ص ١٦

(٢) طه حسين الكاتب الشاعر - محمد سيد كيلانى - ط الدار القومية عام ١٩٦٣ ص ٩٣

الكون ، يخاف من الأشباح والعرافيت وهو نائم ليلا .. ويعرض لعلاقته بأسرته ، فكان يجد فى أبيه ليلا ورفقا أحيانا ، وإهمالا وغلظة أحيانا أخرى ، وأحس بأن أمه كانت تأذن لأخوته فى أشياء وتمنعها عنه (لعاهته) ولا يتحرج فى ذكر موقف أكله بكلتا يديه " ولكن لأمر ما خطر له خاطر غريب ، ما الذى يقع لو أنه أخذ اللقمة بكلتا يديه ، .. وأخذ اللقمة بكلتا يديه وغمسها فى الطبق .. ثم رفعها إلى فمه ، أما أخوته فأعرقوا فى الضحك ، أما أمه فأجهشت فى البكاء ، أما أبوه فقال فى صوت هادئ ، ما هكذا تؤخذ اللقمة يابنى (١) " ويعرض لذهابه إلى الكتاب وغش العريف وعدم متابعته المتابعة الجيدة .. ويذكر ضيقه من الفرق الصوفية وأفعالهم الخارقة ويعجب بالسكر ، وعندما يستعد لذهابه للأزهر يبدأ فى حفظ الألفية ، ولا يتحرج أن يذكر كشف أخيه لتوقفه فى حفظ الألفية عن قدر معين ويذكر إعجابه بامرأة المهندس الزراعى المطربش الذى ذهب إليه لتعلم القراءات.

ومن صراحته فى الجزء الثانى حديثه عن الوحشة فى السكن ، وإهمال أخيه وزملائه له فكانوا يتجالسون ويتناظرون ويشربون الشاي ، دون أن يستطيع مشاركتهم لذا حن إلى الرجوع إلى القرية ، لولا مجئ ابن خالته ورفيق صباة " فذهبت عنه العزلة حتى رغب فيها أحيانا ، وكثر عليه العلم حتى ضاق به أحيانا أخرى " (٢) ذكر لنا عدم ترحيب أسرته به بعد العودة كما كانوا يفعلون بأخيه ، وعارض أباه فى قراءته لدلائل الخيرات .. وفى الجزء الثالث يصور لنا حياته فى الجامعة وسفره إلى فرنسا والعقبات التى وقفت فى وجهه ولعل من أهم المواقف التى تعرض لها حبه لسوزن التى كانت تقرأ له وإنكاره على نفسه هذا الشعور إذ يقول " ولكن حبه كان يستحى حتى من نفسه فينكرها وكان الفتى يخفى شعوره ، ذلك فى أبعد ما يمكن أن يستقر من أعماق ضميره ، ويكره أن

(١) الأيام طه حسين ص ٤٠

(٢) الأيام ج٢ ، طه حسين ص ١٠٩

يتحدث به إلى نفسه ، وقد استيقن أنه لم يخلق لمثل هذا الشعور ، وأن مثل هذا الشعور لم يخلق له ، وأين هو من الحب؟! وأين الحب منه؟! " (١) ومن قبل تحدث صراحة وفي استيحاء عن فترة المراهقة مع هؤلاء الصبية زملائه في الربع وهو معهم ، إذا كان يلزم بهم ذلك الطيف الذي كان يلزم بالشباب وبين حين وآخر (الاستحلام) ويتركهم محرجين فيغتسلون قبل أن يدركوا الفجر ، ومن صراحتة حديثه عن عاهته التي أملت به حتى نهاية حياته ليقول في نهاية الجزء الثالث "وليس كل هذا بالشئ القليل (يقصد ما حققه من نجاح) وبعض هذا كان جديرا أن ينسيه كل ما لقي من جهد ، وما احتمل من عناء ، ولكنه كان يحمل في نفسه ينبوعا من ينابيع الشقاء ، لا سبيل إلى أن يغيض أو ينضب إلا يوم يغيض ينبوع حياته نفسها ، وهو هذه الآفة التي امتحن بها في أول الصبا شقى بها صبيا وشقى بها في أول الشباب ، وأتاحت له تجاربه بين حين وحين أن يتسلى عنها ، بل أتاحت له أن يقهر ، يقهر ما أثارت أمامه من المصاعب ، وأنشأت له من المشكلات ولكنها كانت تأتي إلا أن تظهر له بين حين وحين أنها أقوى منه ، وأمضى من عزمه وأصبحت ميراثا من كل ما يفتق له نكاؤه من حيلة " (٢) .

لقد كان طه حسين حساسا رقيق المشاعر لذا جاءت صراحتة تقطر همسا وعدوية وصفاء وتلقائية ، تقول د. رشيدة مهران إن نفسية طه حسين " رقيقة هامة .. تعرفنا تلك الذات بكمالها ومثالبها ، بطموحها وآمالها ، بياسها وقنوطها ، وهو وإن قدم لنا هذه الذات قدمها .. في إطار البوح النفسي .. وكان يأخذ بمجامع النفس ، يخلق في نفس المتلقى شعورا جازما بالتعاطف والحنو " (١) ويأتي كلام د. رشيدة مهران امتدادا لكلام د. شوقي

(١) مذكرات طه حسين ط . دار الآداب بيروت عام ١٩٦٧ ص ١٧٣

(٢) م. نفسه ص ١٥٣

(١) طه حسين بين الترجمة والسيرة الذاتية د. رشيدة مهران ص ١٨٥

ضيف في قوله " بهذا الصوت العذب ، وهذا البوح الصريح عن حياته ، وكل ما اضطرب فيه من ضيق عيش ، أو ضيق حس ، يكتب طه حسين أيامه فيؤثر في نفس قارئه تأثيراً بعيداً ويجذبه إلى متابعته ومشاركته مشاركة وجدانية " (١) .

٢-٢ تكتسب سيرة أحمد أمين (حياتي) قيمتها من صراحة صاحبها والتطرق إلى أمور كثيرة تعكس ضعف صاحبها وتواضعه ، ومنذ البداية يشيد بعنصر الوراثة والبيئة وأثرهما في تنشئته حيث يقول " ولو ورت أى إنسان ما ورثت ، وعاش فى بيئته كالتى عشت لكان إياى أو ما يقرب منى جدا " (٢) ويعترف بنشأته فى بيت فقير (أكثر الحجر مفرشة بالحصر ، وفى حجرة النوم حشية ولحاف ومخدة ، وأدوات المطبخ فى غاية السذاجة" (٣) ويعترف بأنه ورث من أبيه " عناد وقوة إرادة وجلد على العمل وصبر على الدروس ، وسرعة غضب ، ميل إلى الحزن ، وكثرة تفكير فى العواقب ، وورث عن أمه سذاجة " وعدم حرص على مال .. وحسن ظن بالناس .. وندم على غضب ، وسرعة تحول من غضب إلى هدوء ، ومن سخط إلى رضا " (٤) ولا يتحرج من ذكر مواقف محرجة فى حياته كرجوعه من الأزهر ماشياً ومعه (الجرابية) ينقلها من يده اليمنى إلى يده اليسرى ، وأن الزى الأزهرى (العمامة والجبة والقفطان) كان يحدث له حرجاً من الناس فى الشارع خاصة عند الزجاج " فذو العمامة فى نظرهم متدين ، والتدين فى نظرهم يوحى بالتمت " (٥) ويعترف بتعثر مشيته وبشعوره بالعربة عندما ارتدى البذلة يقول " كنت أنتعثر فى مشيتى فى

(١) الترجمة الشخصية د. شوقي ضيف ص ١١٦

(٢) حياتى أحمد أمين ص ١٠

(٣) راجع م . نفسه ص ١٣

(٤) م . نفسه ص ١٩٩

(٥) م . نفسه ص ١٨٣

الشارع ، وفى الكلية خجلا من الناس ، ومنهم من يستحسن ومنهم من لا يستحسن" (١) ولا يتحرج فى الحديث عن علاقة أبيه بأمه ، فقد كان غليظا فى معاملتها، وكان يضربها فى حالات غضبه ، حتى عاشت كسيرة القلب مهيضة الجناح ولم يحملها على الاستمرار معه إلا حب أبنائها ، ويتحدث عن عاطفته وعلاقته بابنة الجيران ، فقد كانا يجلسان على كرسيين أمام دارها ، يتحدثان فى غير الغرام ، فلما وسوس الشيطان لأبيها حجبها عنى (٢) .

ويتحدث عن خلافات مع زوجته مردها طبعه الصارم ، وقلة ضحكه ، واعتقاده أن العقل هو الوسيلة الطبيعية للتفاهم فى حل المشاكل ، ولكن أدرك بعد ذلك أن المنطق لا ينفع فى التعامل مع النساء (٣) .

ومن صراحته وتواضعه عدم الإشادة بقدراته العلمية فيعترف أنه لم يكن بارعا فى الإنشاء ، بل كان بعض التلاميذ يكتبون خيرا منه ، ويعترف بأنه وهو مدرس فى المدارس الابتدائية كان غير متفوق فى الإنشاء (٤) ، ومن تواضعه وصراحته ما ذكره بعد ما تحدث عن نجاحه فى عمله عميداً لكلية الآداب وتأليف كتب قيمة (فجر الإسلام - ضحى الإسلام) وسفره فى مؤتمرات للمستشرقين أكثر من مرة ، يقول معقبا " وهذا وقد ترددت طويلا فى كتابة هذه الفصول .. لأن فيها لونا من ألوان التقريظ للنفس ، وهولون لا أحبه وقد لا يحبه القارئ ، ولكننى فضلت أن أقوله ، لأنه - على الأقل - يصور للقارئ عقيدتى فى نفسى " (١) ، ويعترف بأنه لم يكن يثق فيما يكتبه ثقة كبيرة يقول "لست كثير الثقة

(١) م . نفسه ص ١٢٣

(٢) راجع م . نفسه ص ١٨٧

(٣) راجع م . نفسه ص ١٩٩ : ١٩٥

(٤) راجع المرجع نفسه ص ٨٥ ص ١١٨

(١) المرجع نفسه ص ٢٩٥

بنفسي ، ولا بما يصدر عنى ، فالكتاب أوْفه ، أو المقال أكتبه ، لا أثق بحكمى عليه ... حتى يقرأه الناس ، فيحكموا بجودته أو تفاهته " (١) .

ومن صراحة ما يصرح به .. أنه كان فى شبابه يتمسك بالمثل العليا ، لكنه فى شيخوخته وبعد ما اصطدم بالواقع المرير تنازل عن بعض هذه المثل يقول "لكم تمسكت فى شبابى بالبدأ وإن ضرنى ، واستثقلت من عمل يدر على الربح لأنى رأيتة يمس كرامتى .. وهأنذا فى شيخوختى قد أقبل كا كنت أرفض ، وقد أتنازل عن بعض المبادئ التى كنت ألتزم " (٢) .

فهذه السيرة تتسم بين الترجمات الذاتية العربية فى الأدب العربى الحديث بحرص صاحبها على تحرى الصدق والصراحة والتواضع الخلقى ، بمبعدة عن الزهو النفسى كما تتسم بحظ عظيم من التجرد فى النظرة ، والإنصاف فى الحكم " (٣) .

٢-٣ كان الحكيم فى سيرته (حياتى) (٤) التى طبعت بعد ذلك بعنوان ( سجن العمر ) أكثر جرأة من أحمد أمين الذى - كما نذكر - حرصه ألا يقول كل شئ ، فوجدنا فى سيرة الحكيم الصراحة الأكبر مساحة عن سيرة أحمد أمين ، فلم يتورع توفيق الحكيم أن يذكر طبائع فى أمه وأبيه قد تخجل غير ، أو يتحدث عن علاقته الخاصة بالجنس الآخر ... إلخ ، ومن البداية أشار إلى مقصديته - التى ذكرناها من قبل - فهو يريد أن يرفع الغطاء عن جهازه الأدمى ، ليفحص تركيب هذا المحرك الذى نسميه الطبيعة أو الطبع .. ليثبت أنه ميراث الأبوين ، ولا يتورع أن يذكر صفات

(١) المرجع نفسه ص ٣٤٨

(٢) المرجع نفسه ص ٣٥٨

(٣) الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث د. يحيى إبراهيم عبد الدايم ص ٢٩٥

(٤) حياتى طبعت بدار الكتاب اللبنانى بيروت عام ١٩٧٤ ، أما سجن العمر فطبعت بمكتبة الآداب بالجماميز بدون تاريخ .

أمه " طبعها الحديدي ، وما فيه من عناد وإرادة وإصرار مع ذكائها الفطري " (١) ولها قدرة عجيبة فى إخضاع جميع من معها لإرادتها ، .. كان هذا شأنها مع أمها .. ثم زوجها فيما بعد ، ولكن لا يمنع ذلك أن تكون نقية السريرة ، صافية الروح " فهى طيبة القلب ، ولكن فيها ربح شر ، خصوصا مع المعتدى .. أما والدى فهو طيب نادر الشر لكنه كثير الخبث ، قليل الصراحة .. وقد ورثت من كل هذا بنسب متفاوتة" (٢) .

ويستطرد فى إيضاح أثر الوراثة ، موضحا أن لها الأثر الكبير ، فلم تترك له مساحة فى حياته إلا نسبة ضئيلة ، يتحرك بها فى سلوكيات حياته محاولا التصدى لهذه العوائق التى وضعها الأبوان والمجتمع فى وجهه يقول " فوالدى الذى أورثنى الإرادة تقف بإرادتها دون رغباتى الفنية .. حريتى الباقية لى إذن هى فرصتى الوحيدة ، وسلاحى الوحيد فى مقاومة تلك العقبات .. حريتى هى تفكيرى .. أنا سجين فى الموروث ، حرقى المكتسب .. وما شيدته بنفسى من فكر وثقافة هى ملكى ، وهو ما اختلف فيه عن أهلى كل الاختلاف (٣) ومن صراحته وتواضعه فى الحديث عن مساره العلمى ، فلم يظهر لنا نفسه فى صورة النابغة المتفوق ، بل يعترف برسوبه أكثر من مرة ، فى المرحلة الابتدائية " كنت بليد الفصل بحق هذه المرة " ورسب فى امتحان النقل للصف الثانى الثانوى رسوبا قبيحا ويتكرر الموقف نفسه فى مدرسة الحقوق ، وفى السنة الأولى أيضا (٤) .

ويعترف بتواضع مستواه العلمى والأدبى قائلا " فأنا لست سريع البديهة ، ولا حاضر الذهن مما يجعلنى أبحث سدى عن الكلمات والمعانى الهاربة من رأسى فى اللحظة

(١) حياتى توفيق الحكيم ص ١٧

(٢) م. نفسه ص ٢٨١

(٣) م. نفسه ص ٢٨٢

(٤) راجع م. نفسه ص ١٠٤ وص ١٢٣ وص ١٦٥

المفاجئة .. ويستولى على نوع من الفزع والارتباك .. وحتى القراءة من ورقة أتلعثم فيها إذا سلطت على عيون الأضواء " (١) .

ولا يتووع أن يذكر صفحات قاسية فى طفولته ، يقول " فأنا لا أذكر أنى تلقيت من أهلى لعبة من اللعب إلا مرة " (٢) ويذكر قسوة أبيه فى العقاب الصارم لمجرد خطأ صغير كتسلىق جدار ، أو كسر زجاج فيأتى " بالفلقة ليضربنا ، فإذا أنا أتقبل العقوبة وأضرب بالفعل " (٣) ومن صراحتة وهو طفل خوفاه الشديد من مقرعة الشيخ مما يضطره إلى التبول على نفسه يقول " تفرزنى (المقرعة) وتلجم لسانى عن الإفصاح بحاجتى فكنت أكتم ما بى وأعود إلى البيت كل يوم وقد فعلتها فى سراويلى " (٤) .

ومن صراحتة ذكره لقصة حب بريئة - كما ذكر أحمد أمين - مع فتاة صغيرة كان بين أسرته وأسرته زيارات متبادلة ، فكما يقول " كنت أحلم ليلا بهذه الشقراء الصغيرة .. وكنت أتلهف على لقاءها واللعب معها ، والغضب المكتوم والحسرة والحزن .. كلما لمحت منها اهتماما يغرى " (٥) ولكنه (الحكيم) أكثر جراءة (عن أحمد أمين) بعلاقات جنسية فى بيوت ساقطة يقول : " بدأنا نعرف المرأة كما كان يتاح لأمثالى مقابلتها وقتنئذ فى تلك الأماكن المظلمة بحى وجه البركة وكلوت بك كلما استطعنا تدبير عشرة قررش فى ليلة جمعة - قبل ذلك ما كنا نعرف غير العادة السرية .. ولكننا منذ عرفنا بتلك البيوت المرخصة وقتنئذ عرفنا الاتصال الجنى المباشر بالمرأة (١) وهذا من التعرى وسوف نقف على هذا الملمح فى الصفحات القادمة .

(١) م . نفسه ص ٢٧٧

(٢) م . نفسه ص ٦٦

(٣) م . نفسه نفس الصفحة

(٤) م . نفسه ص ٧٤

(٥) م . نفسه ص ٧٣

(١) م . نفسه ص ١٤٢ : ١٤٣

٤-٢ لم يتورع حنا مينا في ثلاثيته ( بقايا صور - المستنقع - القطاف ) أن يرصد لحياته البائسة متنقلا من بلد إلى بلد دون مأوى أو بيت تستقر فيه الأسرة ، مصورا للفقر والضياع والتشرد لهذه الاسرة المعدمة ، تلجؤها الطرؤف إلى أن تخدم الأم وابنتاها في بيوت الأغنياء ، لقد كان حنا مينا صريحا وصادقا في تصوير حياته ، صراحة وصلت إلى مرحلة التعرى في ذكر انحراف أبيه وشططه فالأب يدمن الشرب ( حتى يبول في سرياله ) ولا يستقر في مهنة إلا وتركها خاسرا .. يبيع من الأثاث المتواضع للأسرة ويستدين من مرتب الأم وابنتيها مقدما من السادة الذين يخدمون في بيوتهم .

ومن صراحته وصدقه ذكر بؤسه في مرحلة الطفولة ، وشعوره بالمهانة والدونية في المدرسة يحرم من حضور صلاة الأحد ، ومن المشى في جنازة الأغنياء .. لثلاثة ثيابه ولم يتورع في ذكر سلوكيات تصغر أصحابها من هذه المواقف أنه كان ينبش هو وأمه في القمامة يقول " كنا ننتظر حتى تصل إحدى العربات ، فيهجم المجتمعون عليها ونحن بينهم ونقوم جميعا بالنبش فيها ، بواسطه عيدان وأسياخ حديد أو بأصابعنا بكل بساطة وكانت الخنازير تهجم بدورها تنازعنا النباش بخرطومها ، وهي تنفخ وتخمخ ، وتنشر رائحة كريهة ، وكثيرا ما كانت تجفل منا فترك كومة القمامة<sup>(١)</sup> ويذكر وضاعة السكن الذي كان يسكن فيه من دعامات خشبية ، سيجوه بالقصب ، وطينوهُ بالصلصال المبول بالتبن وسقف بنوع من القش يشبه الحلفاء بجواره خندقان يتجمع فيهما الماء في الشتاء ليس به دوره مياه يقضون حاجتهم في الخلاء .. تسبح الأفاعى والحشرات السامة في

(١) المستنقع : حنا مينا ص ٦٠ ، ٦١

المياه التي تتجمع في الشتاء يكثر البرغش والذباب في الصيف .. مما يؤدي إلى انتشار أمراض الملاريا والديزنتاريا ... (١) .

ومن صراحته ما ذكره عندما ذهب إلى بيت البغاء وهو طفل مع زملائه نهاية احتفالات المرافع ، ورغم أنه كان طفلا لا يدرك أبعاد هذا الموقف ، يصور هذا الموقف "كنت خائفا قليلا ، كان شئ مشين يجرى أمامي ، وفكرت في أمي فاستشعرت ذنبا كبيرا، بدت لي الحياة غريبة متناقضة تمثلت وجه الأم ، ووجه العذراء ، وصور النساء القديسات وافتقدت ذلك الطهر، وأنا أشهر حمأة الرذيلة ، فاستولت على كابة تدفع إلى الفرار (٢) ومن صراحته ما يذكره عندما ذهب للعمل مع أبيه في الصيف للقط سنابل القمح وإذا به يفتقد هو وأبوه الماء ، لفقدهم الطريق في هذه الأرض الواسعة ، ويظان فترة طويلة ، أوثكا فيها على الهلاك وفجأة عثر أبوه على ماء ، بعدما كان حامله على يديه في مسيرة للبحث عن الماء (٣) .

ومن صدقه وصراحته تتبعه لفترة مراهقته فيذكر أنه عندما كان يعمل في مقهى يورغو أعجب بزوجته التي أكرمته لحديث زوجها عنه بالأمانة والإخلاص في العمل يقول " فلما جئتها بعد ذلك أكرمتني ، ودللتني ، وهذا ما دفعني ، بإحساس عاطفي مبكر إلى أن اشتري لها الحلوى والمكسرات ، حتى أطمعنتني فهجمت عليها وقبلتها ذات يوم ، فدفعت ثمن قبلتي الأولى غاليا ، لأن الزوجة الشابة هددتني أن تشكوني لزوجها .. فرجوتها ألا تفعل ، وراحت تطلب كثرمن للسكوت أشياء إضافية ، وكنت أشتريها لها وأنا أكتم السر عن الجميع (١) .

(١) راجع م . نفسه ص ٥١ ، ٦٤ ، ٦٥

(٢) م . نفسه ص ١٦٤ : ١٦٥

(٣) راجع م . نفسه ص ٤٠٠

(١) م . نفسه ص ٤١٢ : ٤١٣

وتتبع هذه الفترة أحلام بالمرأة وتفكير عميق في الاتصال بها يقول " لكن الليل ما يكاد يقبل حتى تعتادنى أحلام داعرة ، وحتى تسيطر الأنتى على مشاعرى ، فيستيقظ بى ما كان مكبوتا (١) وتتفتح مشاعره على رئيفة التى تعمل مع أبيها فى حق الزيتون، ولكن لظرفه الصعبة قتل هذا الحب فى مهده ، ولكن تفجره جنسيا وعاطفيا جعله يعيد أحكامه فى جرى أبيه وراء النساء يقول " عرفت النساء ، وكنت كوالدى ، قادرا أن أهب حتى قميصي الوحيد ، فى سبيل امرأة ، ولهذا ربما عفرت لوالدى ، رخاوته أمام المرأة (٢) ومن صدقة وصراحته اعترّفه بضعف إرادته فتمنى غير مرة أن يكون فى جرأة أبيه أو أخته .. إلخ .

٥-٢ كان الصدق ملمحا بارزا فى سيرة خليل حسن خليل (الوسية) فمن أول مشهد من مشاهد السيرة نرى الأسرة تحاول تهريب أثاث المنزل المتواضع المحجوز عليه ، حتى جاء يوم واستطاعوا الحجز عليه قبل تهريبه لبيت الجيران ، وتلى هذا المشهد الحجز على الأرض وبيعها ، ثم بداية دراسته البائسة يمنحه أبوه قرشين فى الأسبوع يعيش مع ثلاثة من زملائه فى بيت متهدم بكفر صقر أرضيته من التراب ، وسقفه من سعف النخيل وحيطانه مطلية بالطين المجلول بالتبن ، فراشهم (الأربعة) حصيرة ينامون عليها .. غزل العنكبوت والدخان المتصاعد من الموقد فى الشتاء يحول الغرفة إلى كتلة من الرماد وبعدها يلتحق بالمدرسة الثانوية فى الزقازيق يعانى من شدة الفقر، حتى أنه كان يعتمد على وجبة الغداء فقط مما اضطره إلى السرقة من مطعم المدرسة لبقايا الأكل الفائض من زملائه ، ويفصل من المدرسة لعدم استطاعته دفع القسط الثانى ثم يذهب إلى وسية الخواجة للعمل بها ، كاتب

(١) الططاف حنا مينا ص ٧٥ ، ٧٦

(٢) م. نفسه ص ١١٧

أنفار بخمسة وأربعين قرشا طعامه العيش الأذرة والمخلل مسلسل من الصراحة والصدق الصافي حتى أنه من تَعُودِهِ عَلَى هَذَا الطَعَامِ الخشن لم تستحمل معدته عشاء جميلا أرسلته أمه إليه فرخة محمرة محشوة بالأرز المتبل بالفلفل والبهارات فأصيب بإسهال<sup>(١)</sup>، ومن مواقف الصدق - هنا - رضأؤه بأكل الأذرة البيضاء والفسيح والبطيخ فى الغداء - هو والشيخ سليم - مقابل أن يكتب المقاول عشرين نفرا زيادة<sup>(٢)</sup> ويعترف برضا أمه عن إرسال محمد خطاب لزكبية قمح وعلى أبو حطب لأرديين - لأنهما كانا يسرقان من الوسية ورأهما حسن - ولكن يعترف بأن ذلك مزقه من الداخل يقول " بهذين الأرديين من القمح بالإضافة إلى زكبية القمح التى بعث بها محمد خطاب إلى أسرتى ، بدأت عملية الإفساد التى فرضها على مجتمع الوسية تضيق الخناق على وتعمل على تشويه وجدانى<sup>(٣)</sup>، ويعترف بضعفه أمام الخواجة عندما طرده وتبعه جريا وراءه - فلم يقف فى وجهه ، لأن الخواجة أقوى منه ، فهو ما يزل غضا (فى السابعة عشرة من عمره) ولم يدع العنترية والشجاعة<sup>(٤)</sup> .

ومن الصراحة ما يذكره أثناء الكشف الطبى عند التحاقه بالجيش فى قوله "أمرنا أن نخلع ملابسنا جميعا وكشفت العورات كلها ، وخجلت كثيرا من منظرنا ، وسترت نفسي بيدي<sup>(١)</sup> ، ومن صراحته - أيضا ذكره استهانة الضباط بهم ، وتوجيه الكلام المؤم ، كقول أحدهم ، أى واحد منكم كانت أمه تستطيع أن تدفع له عشرين جنيها بدل معافاة

(١) راجع الوسية خليل حسن ص ٧٤

(٢) راجع م . نفسه ص ١٣٣

(٣) م . نفسه ص ٢٢١

(٤) راجع م . نفسه ص ٢٣٦

(١) م . نفسه ص ٢٤٥

من العسكرية ما كان جاء إلى الجيش وقول الآخر لا وحياء أمك أنت وهو... ولو كانت أمك أنت وهو تستطيع تطعمكم ما كنتم تطوعتم في الجيش (١).

ويقول تعليقا على هذين المشهدين " وبذلك أصبحت الشتائم والإهانات جزءا لا يتجزأ من حياتنا الجديدة ، وتقلبناها كقيمة أساسية من قيمها (٢) ومن المواقف التي تعكس لنا صدقه في الجيش - أيضا - ضيقه من نظام المراسلة (الذي يتحول فيه الجندي إلى خادم للضباط) وقد عانى منه عندما عين رئيسا لمكتب القائد ، ووصل الأمر إلى أنه كان مكلفا بمسح حذاء القائد ، لولا أنه تخلص بسرعة بأمر جندي معه قطعه قماش ليقوم بالمهمة (٣) ومن صراحته الاعتراف بحب عالية ابنة خاله ولكن للفارق الاجتماعي جعله يضع حداً لهذه العلاقة ، قاتلا عاطفة الحب في نفسه ، ومن مواقف صدقه - أيضا- اعترفه برسوبه في شهادة الثقافة في مادتي (الجبر واللغة الإنجليزية) ثم نجاحه في العام التالي (٤) ومن اعترافاته الصريحة مجيئة بشهادة فقر حتى يعفى من الرسوم في كلية الحقوق (٥).

والملاحظ على مثل هذه المواقف ، أنها لا تتجاوز حدود الحياء ، وفي الوقت نفسه تساعد على إبراز شخصيته وإرادة صاحبها القوية ، ولا تعد شيئا مشينا في حياته فالصدق يضيف على السيرة المصادقية ، وثناء النص ، وتأثيره في المتلقى ، لأنه يعايش صاحب هذه المواقف والأحداث الإنسانية .

(١) م . نفسه ص ٢٥٢ وص ٢٥٤

(٢) ام . نفسه ص ٢٥٥

(٣) المرجع نفسه ص ٣٣٥

(٤) راجع المرجع نفسه ص ٣٧٦ ، ٣٧٧

(٥) راجع المرجع نفسه ص ٤٠٥

١-٣ الصورة المقابلة للصدق والصرحة التعرى ، فالتعرى صراحة تتجاوز حدود الحياء وحدود ما يتنافى مع العرف والعادات والتقاليد ، وللتعري في أدب السيرة العربية صورتان الأولى علاقة الرجل بالمرأة ، والثانية علاقة صاحب السيرة بأبوية، أما عن الصورة الأولى فإذا كان د. يحيى إبراهيم عبد الدايم عام ١٩٧٠ قد نعى على السيرة العربية أنها لم تصل إلى مرحلة التعرى كمنظيرتها في الأدب الغربى عند جان جاك روسو ، وأندرية جيد ، فإن كتاب السيرة قد حققوا له ما فات على السيرة العربية وتحدثوا بدعارة مزعجة عن علاقة هؤلاء بالنساء ، بدءا من إشارة الحكيم - كما مر بنا تسله - وهو وأصحابه إلى بيوت البغاء ، ثم بخالد محمد خالد وحديثه عن العادة السرية وعبد الله الطوخى فى حديثه عن العلاقة غير الشرعية مع أكثر من امرأة ويبلغ هذا المنحى ذروته عند محمد شكرى فى سيرته \_ الخبز الحافى - الشطار) أما الصورة الثانية وتتمثل فى تعرية علاقة الابن (كاتب السيرة هنا) بأبيه فنجدها عند حنا مينا وتبلغ الذروة فى التعرى وعدم الولاء عند محمد شكرى .

٢-٣ علاقة الرجل بالمرأة فى السيرة العربية جاءت مغلفة بالحياء عند كثير من كتاب السير ، وجدناها عند طه حسين فى حبه البرئ لزوجة المفتش التى تقاربه فى السن ولم يذكر كلمة حب بل إعجاب وارتياح ، وذكر حبه البرئ - أيضا - لسوزن وكتابته لها فى حياء عن رغبته فى الزواج منها وبعدها بمدة جاء الرد بالإيجاب حتى ما يطرأ على الشباب فى مرحلة المراهقة من فوران (جنسى) ذكره طه حسين فى استيحاء بأنه كان يلم به ما يلم بغيره من الشباب من أحلام ويستيقظون قبل الفجر محرجين - للاغتسال للصلاة وجدنا أحمد أمين يتحدث عن علاقة حب بريئة مع فتاة فى سنه تجاوزهم ، يلتقيان فيتحدثان - فى حديث غير الحب أمام منزلها

ثم منعها أبوه ، وجدناه عند خليل حسن خليل فى حب عالية الطفلة الرشيدة الجميلة ، ثم الفتاة الناضجة الجميلة – أيضا – ولكن الظروف حالت دون الزواج منها ... إلخ

وجدناه عند بنت الشاطئ ، التى أخذت تفكر فى أستاذها قبل اللقاء به ، حتى إذا رأته ارتبطت به أكثر ، ورغم زواجها منه (أمين الخولى) تحكى عن الوئاع دون أن تذكر كلمة (الحب) لترثى أجمل فترة عاشتها معه ... إلخ

أما العلاقة فى صورة (الالتحام الجنىسى) فكانت أول إشارة لذلك – كما مر بنا – فى سيرة توفيق الحكيم حين ذكر تسلله – هو وأصحابه – ليلة الخميس إلى بيوت البغاء فى حى وجه البركة وكلوت بك .. وقبلها كانوا يمارسون العادة السرية ، وعن العادة السرية يتحدث خالد محمد خالد بإسهاب عن ممارسته لهذه العادة السيئة وكم عانى من جهد حتى تخلص منها ، ولكنه يذكر موقفا متعريا للغاية فى قوله " كنا ننام (هو وأخوه يوسف) معا فوق سرير عريض وفسيح ويضمنا غطاء واحد مسدل وعريض ، فى ليلة من تلك الليالى أرققت ، وتجافى النوم عنى وأخذنى الحنين إلى العادة الملعونة .. وأخى يوسف مستغرق فى أحلى نومه واسترسلت فى عبثى .. وغدا لوح خشبى من "ملة السرير" يهوى إلى الأرض ، وإذا بقية الألواح تتداعى له – وتتضامن معه فى فرقة شديدة ، وإذا بنا نطرح أرضا فوق الألواح المتقعة .. وحرك المشهد الأليم مغايط أخى الذى صرخ فى وجهى قائلا يعنى الهباب اللى بتعمله ده ، ما حبكش إلا دلوقت .. ؟ وراح يرغى ويزيد وأنا أكتم ضحكاتى<sup>(١)</sup> واست أدرى مالداعى لسر، هذا الموقف الذى – فى ظنى – يضر أكثر مما يفيد؟! فالسيرة التى تعكس لتطور حياة صاحبها فكريا وعقليا وروحيا والظروف التى

(١) قصتى مع الحياة ، خالد محمد خالد ط أخبار اليوم (القاهرة) عام ١٩٩٣ ص ١٩٦

أحاطت به وتجاوزها فما الذى يضيفه هذا الحدث لسيرة صاحبها من ثراء ، سواء عرض لموقف معيب كان أولى به - وخاصة أنه كتب سيرته فى مرحلة الشيخوخة سن رجاحة العقل - أن يتجاهله وينسأه رغم أنه قد لام نفسه ، ولام مثل هذا التصرف - (أدب الاعتراف) عنده وعند غيره ، فلماذا يذكر (أدب الاعتراف) وهو يرفضه قائلاً " لا بد أن يحكى فى أضيق الحدود مراعيًا الأعراف والقيم والتقاليد ! (١) .

ويتعارض أيضا معه قوله " أريد أن أنقل بصدق وتبيان مفردات حياتى وتجربتى عسى أن تضئ علينا من وضوح الرؤية ما يفيدنا ويهدينا سواء السبيل (٢) ونوافقة فى الصدق الذى يهدى إلى سواء السبيل لوضوح الرؤية - ولكن مع هذا الموقف (المخل) لا نجد هداية ولا رؤية واضحة ... إلخ .

مبدأ الصدق يعرى عبد الله الطوخى نفسه فى قوله " فهل أستطيع أن أرى تجربتى الشخصية !؟ .. المهم هو أقصى قدر من الصدق .. ومن الشجاعة .. لم لا ؟ (٣) وإن أشار - فى إحياء - إلى الاستحلام واستحمامه فى إحدى الغرف الفارغة من بيتهم حتى يتاح له الصلاة (١) ولكن بعد ذلك يرى مواقف صغيرة منها تسلقه على (ماسورة المياه) حتى الدور الثالث لرؤية الخادمة سعدية وهى تستحم فى الحمام ، وخجلة ورجوعه بسرعة (٢) ، ويذكر بعدها محاولة ممارسة الجنس فى بيت البغاء فى حى الخبيزة بالمنصورة ووقع مع امرأة كبيرة فى السن يصف هذا المنظر هالنى المنظر كرمشات ، جلد على عظم ، كانت فوق السبعين أو الثمانين - وتخيّلها جثة ممصوفة ماتت وستأخذنى

(١) م . نفسه نفس الصفحة .

(٢) م . نفسه ص ٦٧

(٣) عنيان على الطريق (التكوين) عبد الله الطوخى الهيئة العامة للكتاب - مهرجان القراءة للجميع عام ٢٠٠٢ ، ص ١٥٢

(١) راجع م . نفسه ص ٦٩

(٢) راجع م . نفسه ص ١٩١

وانتابتنى قشعريرة ، مع إحساس مفاجئ بالغثيان ، قلت لها : لحظة واحدة .. خارج وراجع .. وفتحت الباب وخرجت أعدو ، هاربا بجلدى وروحى <sup>(١)</sup> ويعترف بارتكابه الفحشاء مع الخادمة (خديجة) وقد كان من قبل مترددا ، ويربط الزنا بالنجاسة والحرام ولكن لتبرير أصحابه له بأن ما يفعله ليس بزنا ولا حرام (لأن الزنا كما يرون هو أن تزنى بامرأة على ذمة رجل) فيحلل لنفسه ما هو متيقن من داخله أنه حرام ، ويلتقى بخديجة وكان السقوط كما يقول " قد تم بسرعة مذهله ، لقد تبخرت من نفسى الصراعات القديمة بين الخير والشر ، وبين الحلال والحرام .. كنت كثمرة ناضجة ومهيأة للسقوط من أبسط لمسة ، بل من أبسط نظرة .. أنا المسئول وليست هى ، أنا الذى تخيلت وخططت وديررت وأنا طريح الفراش .. وحين انتهى الأمر ، ورأيت أن الأفلاك كفت عن الدوران والبركان أخرج كل حممه تمنيت لو أنه كابوس أو حلم وهيب سرعان ما استيقظ منه ..

إلا أن حشجة الأنفاس وصوت اللهاث ، ورائحة البلبل وشعرها الخشن المنفوش وغخذيها العاريين ، وهى تهبط من على السرير ، وتخرج من الحجرة وتقف الباب خلفها كأنما تعلن انتهاء المشهد ، وتسدل الستار .. وجدتنى وحدى ، وقد تحول السرير إلى مستنقع أنا ساقط فيه <sup>(١)</sup> رغم ندمه يعود لتكرار هذا السلوك إلا أن الأحداث سارت بعد ذلك على نحو مأساوى ومدمر .. فقد وجدتنى منساقاً وسلوباً للمرة الثانية والثالثة والرابعة .. وداخلى الإحساس بأنى أصبحت شيطاناً بحق .. شيطاناً يتخذ صورة ملاك ويخدع الآخرين ، بطيبة وجهه البادية <sup>(٢)</sup> .

(١) م . نفسه ص ١٨٦ : ١٨٧

(١) م . نفسه ص ٢٩٦ : ٢٩٧

(٢) م . نفسه ص ٢٩٨

ويعيد الكرة مع امرأة أخرى جاءت تسأل عن صديقه (عاصم) كان يبدو فى صوتها ونظراتها العجلى ، وأنها تريد ألا يراها أحد .. أشرت لها بالدخول فدخلت، وأغلقت خلفها الباب وإذ عرفت أن عاصم غير موجود استأذنت لتخرج ، وإذ بى اعترض طريقها .. ولا أعرق فى تفاصيل ما حدث بعد ذلك فقد وجدتني اشتبك معها فى معركة ضاربة انتهت باستسلامها .. وانتصارى<sup>(١)</sup> .

يبلغ التعرى مداه عند محمد شكرى فى سيرته ( الخبز الحافى – الشطار) فتكاد السيرة تسرد لعلاقاته الباغية مع النساء ، ولعلاقته المتصدعة مع والده - الذى كما وصفه بالأخلاق المتردية - فعلاقاته بالنساء ووصفه لتصرفات وأخلاق أبيه تستحوذ على ثلثى سيرته ، والثلث الباقي لسيرته العملية (التي جاءت على الهامش منذ التحاقه بمدرسة المعتمد بن عباد فى العرائش ثم التحاقه بمدرسة المعلمين ثم عمله معلما وإلى جانب سيرته العلمية فى الثلث الباقي من السيرة - تسرد لعلاقته بأصدقاء عدة نذكر منه الزيلاشي والسبتاوي التفرسيتى - كومير - المختار الحداد - ريساريو - لوشوفاليي .. إلخ) .

تطالعنا السيرة بنزوحهم إلى طنجة وأملهم فى إيجاد الأكل الذى يملأ البطون الخاوية وكان رد " أبيه على أخيه (عبد القادر) الذى يعوى من الجوع لوى العنق والموت يصف هذا المشهد " يلوى اللعين عنقه بعنف ، أخى يتلوى ، الدم يتدفق من فمه ، أهرب خارج بيتنا - يسكت أمى باللحم والرفس .. فى الصباح انتحبنا أيضا ، تلك أول مرة أذهب فى جنازة ، أخى منعوش ، أرتجف أبكى<sup>(١)</sup> أب بهذه الصورة من القسوة بدهى لا ينسجم مع هذا الابن فيهرب منه ليعيش فى الشوارع والمقاهى والحانات والفنادق والمقابر ليلتقى بالعاهرات وبالساقطين (من الرجال) وتتحول السيرة - فى معظم صفحاتها - إلى

(١) م . نفسه ص ٣٠٦

(١) الخبز الحافى محمد شكرى طدار الساقى طه عام ٢٠٠٦ ص ١٢ ن ١٣

مشاهد لممارسة الجنس بكل أنواع الشذوذ (الجماع الشاذ - اللواط - الاستمناء) نساء كثيرات مارس معهن البغاء نذكر منهن للاحرودة - إبريس فوبرتى - سلافة - ليلى البوالة - نعيمة - خديجة - كريستو بالينا - كنزة - كانديدا ... إلخ ) العجب العجاب أنه يبدأ تفتحه فى عالم الجنس بوصفه لمشهد جنسى مع أمه وأبيه وكان أول منظر يراه فى هذا العالم يصفه "وصفا غير متورع يقول : " فى الليل أيقظتنى مثنائى الممتلئة ، قبلات تصفق لهاث يتلاحق همسا .. لحم يصفق تفو؟! ..

- ويستخدم الحوار فى تصوير هذا الموقف

- ها أنا ليس بعنف ، ليس هكذا ، انتظر .

- أقول لك هكذا .. يصفعها

- كلا .. كلاتؤلنى .. هكذا ، هكذا ، هكذا أحسن لا . لا .. ليس هكذا .. نعم هكذا لابد أن

يكونا مصابين بالحمى ، لهاث ، قبلات ، تأوهات ، لهاث ، قبلات ، ... يأكلان بعضهما ..

- ٢٠٢٠ م ...

يطعنها ، تأوه طويل خفيض ، شهيق قتلها ، أحس مثنائى ، تفرغ السائل الساخن يتدفق بلدة بين فخذى (١) .

بهذه الصورة المكشوفة الفاضحة كان حديثه عن الجنس مع كل من مارس معها يصف مشهد لقائه مع للاحرودة ( أول امرأة مارس الجنس معها ) قائلاً : " أدارت لى ظهرها ، فككت لها رافعة صدرها ، متأملا بشهوة الزغب الخفيف عند منبت ظهرها .. قصيبي ينتصب ، شرعت أفك إزار بنطالى باضطراب قلبى يخفق بعنف ، هذه المرأة

ستتركنى أدخل في لحمها كما تدخل السكين في اللحم .. أمسكت قضيبى (ويصدر منها تأوهات) آى . آى . آى . ليس هكذا .. أخ . أخ . أنه لحمى يا ولد وليس حلفاء .. تدير لى ظهرها انتهى أيضا مؤخرتها (١) .

إنه يصور المشهد وكأنه مشهد سينمائى ، أو مشهد فى فيلم داعر ، يذكره بكل حدافيره ويتكرر المشهد مع الاختلاف فى الإخراج من امرأة لأخرى ، فيصف لقاءه بإيريس فوبرتى بقوله " تعريت من كل ثيابها ، شيئها ليس حليقا .. انتظرت أن تغتسل .. تمددت على الفراش رافعة ساقها ثدياها صارا الآن مثل خبزتين صغيرتين مدورتين ، لم تقبض على بمقصها ، تمددت مثل تونه كبيرة .. آى . آى . آى . لحظة سل شيئك سأغير وضعى... إلخ (٢) .

مشاهد متوالية للجنس بهذه الصورة الفاضحة تتوالي فى السيرة (تخلعه، يخلعها يلحس لها وتمص له (شيئته) ينامان فى دعارة مع إيقاع صوتها المثير وغمجها الداعر ، لا يستحى من أى ألفاظ فى هذه المشاهد كقوله عن لقاءه بسلافة " أنا ألح على الولوج ، وهى تلح على الحك ، تضغطه ، تخنقه ، انتشلته من يدها ، تتداخل .. تضمنى إليها بساقها وذراعيها ، قلت له ، اجعل نفسك قويا معها ، كن صديقا لشيئها أيها الأعور (١) هذه المشاهد تتكرر مع عاهرات عدة منهن ليلى البوالة (التي لم تبل معه ص ١٦٧) ومع نعيمة التى " لا عمل لها سوى أن تفتح لى أو لغيرى فخذها " (٢) .

(١) م . نفسه ص ٤٤

(٢) م . نفسه ص ٤٨

(١) م . نفسه ص ٣٥

(٢) م . نفسه ص ١٩٩

ومع خديجة السريفة ص ٢٢٢ ، ومع امرأة سوانا قصيرة ، ومع شريوطة<sup>(١)</sup> ولم تقتصر ممارسة الجنس عند محمد شكرى على الدعارة مع النساء ، بل تطرق طويلا لممارسته بالاستمناء بالعادة السرية ، أو مع أى حيوان أو جماد يقول " استمنى على المحرم والحلال من الأجسام "<sup>(٢)</sup> ويقول عن العادة السرية " قضيتى يدغدننى كل يوم أهدهه بأصابعى كأننى أهدهد ألم دمل أنتظر أن يتقيح ، ينتصب يمتلئ يستوى شيئاً فشيئاً ، حتى يحمر ، ويعرق لاهثاً ، صرت مشغولاً به وحده<sup>(٣)</sup> . فمحمد شكرى يمارس الشذوذ مع كل شئ حيواناً أو جماداً يقول " الدجاجة العنزة الكلبة العجلة تلك كانت إنثى ، الكلبة أخرق لها الغربال المثقوب فى رأسها ، أربط العجلة ..<sup>(٤)</sup> .

ويحفر فى جزع الشجرة شكل الأعضاء التناسلية للمرأة على هذا الشكل حفرتى النهدين والفم وحفرة بين الفخذين<sup>(٥)</sup> ويمارس اللواط مع طفل استدرجه - فى زيارته لوهران عند خالته وسط سنابل القمح وفجأة ضمه إليه " حتى صار جسدين فى جسد يخمشنى أعضه فى رقبته ، يكف عن الصراخ والاهتزاز يستقر ذقنى فى ذقنه ، ألمس عضوه بيدي ، ينتصب شيئه فى يدي ، يتلذذ أبوس رقبته ، شعره وجهه<sup>(١)</sup> ويحكى موقفاً جنسياً مثيراً مع رجل إسباني اصطحبه فى سيارته وفجأة قرب منه وأنزل (الأسباني) له بنطاله ثم أخرج شيئه وبعدها أخذ يلحسه يمسه ، يهيج منبت خصيتى بأصابعه ، أحسست بأسنانه وإذا هو عضه من كثرة اللذة - قذفت فى فمه<sup>(٢)</sup> وبعدها أعطاه خمسين بسيطة

(١) راجع الشطار محمد شكرى طء دار الساقى ٢٠٠٠ ص ٤٢

(٢) الخبر الحافى محمد شكرى ص ٣٣

(٣) م . نفسه ص ٣٥

(٤) م . نفسه ص ٣٣

(٥) م . نفسه ص ٥٩

(١) م . نفسه ص ٦٧

(٢) م . نفسه ص ١٠٦

السيرة الذاتية ♦————♦ في الأدب العربي الحديث ♦————♦ رؤية نقدية

ولا يتووع أن يذكر- لتشرده في الشوارع والبيادين - أنه كان يتلقى بالشواذ ومنهم من راوده عن نفسه مناديا عليه (فأين ماشى هذا الغزال) ولولا هرويه لمارس معه (هذا الرجل الذي لا يعرفه) اللواط (١).

بهذه الصورة من التعرية الفاحشة تكون سيرة محمد شكرى قد تجاوزت - إن لم تتساو- الصراحة العادية في أدب السيرة في الأدب العربي عند توأستوى ورسو وجيد فقد كان رسو مبالغا ومسرفا في التعرى النفسى مباحيا بهذا الانحراف ، وقد حد حذوه جيد وكير كجورد الذى تجاوز الحد فى الإشادة بشذوذه الجنسى خاصة مع الغلمان والساقطات والبعايا (٢).

والعجب العجاب ما يطله د. صبرى حافظ لتناول الكاتب للجنس بهذه الصورة بأنه " يحرص على تخلص الجنس من هالاته الشبكية ، وتحريره بعد أن فصله عن الحب والعواطف من كل الأوهام الانفعالية ، ليتحول إلى فعل جسدى عضوى ، وليصبح سرد هذا الفعل فى تفصيله المملة نوعا من طقس تجريده من كل الهالات التى أحاطت بها مقارع التحريم (٣)

وفصل الجنس عن الحب يتفق ومنطق الدعارة ، ومعروف فى المجتمع الغربى إطلاقهم على الجنس (ممارسة الحب) فالحب والجنس وجهان لعملة واحدة وهى العلاقة بين الرجل والمرأة .. ناهيك عن إطلاق مثل هذه الأحكام التى تشبه الفرقة الشكلية المفرغة وهذا ما لا نرتضيه فى الدراسات النقدية

(١) راجع م . نفسه ص ١١١

(٢) راجع الترجمة الذاتية فى الأدب العربي الحديث د. يحيى عبد الدايم ص ١٤٦-١٤٧

(٣) البنية النصية لسيرة التحرر من القهر د. صبرى حافظ . دراسة ملحقه بالشطار ص ٢٣٠ ط دار الساقى ط٤ عام ٢٠٠٠

وقد وصف د. إحسان عباس مثل هذه الصراحة ( أقصد هنا التي انتهجها محمد شكري وأمثاله ) بالصراحة الكاذبة ، ورأى أن الدراسة المتعمقة قد دلت على أن روسو أكبر مشوه للحقائق ، وأن يوميات جيد من أقرب اليوميات إلى الصراحة الكاذبة (١) وفى ظنى أن ما ينطبق على جيد وروسو ينطبق على محمد شكري ، ويطلق علماء النفس على أمثال هؤلاء بأصحاب الوجدان اللعوب ، وهم مشغوفون بالمغامرة ، والعب من مشارب اللذائذ وتذوق مختلف ألوان المتع ، إشباعاً لنهم الحواس ، وانقياداً لشتى الأهواء إلى الحد الذى تشتمز منه النفس السوية ، وتعافه وتمجه ، وهذه النظرة تدل على عدم الانسجام مع الواقع ، وتعتمد على اللحظة الحاضرة ، بغية ملء ما يحس به صاحبها من نقص ، لكنه يغالط نفسه حقيقة ، ويكذب على نفسه حين تبع هذا المسلك ومن ثم يظل ضمير صاحب هذا المذهب فريسة جامحة ، ويظل دائماً يرى أن الأفضل لا طعم له إذا استمر ، ولذا يقطع ديومته ليعيد الاستمتاع به ، وهذا ما يتحقق بأى شئ ولا يحمل عادة على محمل الجد (٢) .

٢-٣ من صور التعرى فى أدب السيرة الذاتية العلاقة بين الأب وابنه ، والتي لا نجد نشورَ فيها إلا عند كاتبين هما محمد شكري ، وحنا مينا فمر بنا افتتاحية سيرة محمد شكري لسيرته بقتل والده لابنه الطفل ( عبد القادر ) لا لجريمة اقترفها ، ولكن لبكائه الكثير من الجوع ، أب بهذه الفظاظلة وحدة الطبع لا غرابة أن يعرى ابنه (محمد شكري) علاقته به ، علاقة العداوة الصريحة ، حتى أنه يقول لو تمنى لأحد الموت لتمناه لأبيه ، وعندما أوشى أحد الجنود على أبيه (لهربيه من الخدمة العسكرية) فسُجن (أبوه) وبعد خروجه يقول محمد شكري أتمنى أن يعثر أبى على

(١) راجع فن السيرة د. احسان عباس ص ١١٥

(٢) راجع الوجدان : عادل العواد دمشق مطبعة جامعة دمشق عام ١٩٦١ ص ١١١ ، ١١٢

ذلك الجندي الواشي ويقتله حتى يطول غيابه أحب غيابه حيا أو ميتا<sup>(١)</sup> فهو لا يذكر أباه إلا بسوء معددا صفاته السيئة مستلذا بطالته ينام كثيرا ، يأكل مثل خنزير ويتناول النشوق ، ويعود - أحيانا - ثملا إلى المنزل ، ما زال يسب الناس دائما والله أحيانا ، لا يحب أحدا في هذا العالم ، إذا اقتربت منه قطة يمسكها من ذيلها ويخبطها مع الحائط " (٢) .

ويبرر لسوء طبعه بالوراثة ، فأبوه؛ كان سيئا مع أبيه "لطم أباه وركله وسبه أمامها (أمه) في الريف ، لا بد أن تكون شجرة عائلته من المجرمين والملاعين والمجانين (٣) .

ويعكس لنا الكاتب أن الأب كان سيئ الخلق معه ومع أمه ، فلم يحن عليه ولم يعطف عليه ولا على أمه في أى موقف من المواقف فما إن شب هذا الطفل وذهب إلى العمل ، إلا وجاء أبوه، وأخذ أجره من صاحب العمل الذى يعمل عنده (فى المقهى - فى معمل الفخار) ومن هنا بدأت الثقة فهرب من البيت ولكن أباه كان يترصد به ويمسكه من قفاه ، ويضربه ضربا مبرحا فى الشارع قبل أن يأخذه إلى البيت (٤) وفى يوم من الأيام مسكه (أبوه) فى الشارع وكان معه صديقه (السبتاوى وعبد السلام) وإذا به يمسكه من لياقته وينهال عليه ضريا ، فتدخل صاحباة "ضرباه باللكم ، ونطحات الرأس رأيته يغطى وجهه بيديه ، والدم يسيل من بين أصابعه بغزرة .. وقفت بعيدا أنتظر نهاية المشهد ، تمنيت لو أنى أشاركهما فى ضربه ، لو كان فى مكان خال من الناس لشاركتهما ، كان عزء لى أن أراه يضرب على مرأى منى حتى يسيل دمه (١) .

(١) الخبر الحافى محمد شكرى ص ٢٦

(٢) م . نفسه ٧١

(٣) الشطار محمد شكرى ص ٥٩

(٤) الخبر الحافى محمد شكرى ص ٧٤ ، ٧٥

(١) م . نفسه ص ٧٥

لقد وصلت العلاقة بينه وبين أبيه مرحلة لا رجعه لها ، فقد شك الوالد أن يكون هذا ابنه يقول (الوالد) مخاطبا إياه " لست إلا ولد القحبة .. ربما نام مع أمك رجل آخر أرى أنك لا تشبهنى فى شئ ، ربما تشبهه (١) ، وظل هذا الكره حتى بعدما فارقه ابنه ست سنوات ، حصل فيها على الشهادة الابتدائية (من مدرسة المعتمد بن عباد فى العرائش) والتحق بمدرسة المعلمين ، ولم يفرح الأب لنجاح ابنه رغم حسد الآخرين له على هذا النجاح وقال إنهم أخطأوا فى إنجازه (٢) ، لقد رجع محمد لزيارة أمه المريضة فى المستشفى التى لم يزرها زوجها لجحوده وقساوة قلبه ، وعندما ترك حقيبته فى البيت رجع وجدها مبعوجة لأن أباه أراد أن يحرقها ، لولا تدخل جارهم عبد الحميد . وانتشل الحقيبة من يده لأحرقها ، يقول معلقا على هذا الحدث " خامرتنى فكرة شراء سكنين والعودة إليه وطعنه ، أوتديروسييلة لإخلاء أخوتى من الكوخ ، وإحراقه وهونائم فيه (٣) ويذكر من فظاظة أبيه ضربه لأمه وإهانتها ، حتى أنه كاد أن يقتلها يوما من الأيام ، حين رفع عليها القدر الذى يغلى فيه محلول السكر ، الذى يصنع به العسل لبيعته فى سبته ، لولا تدخل الجيران الذين استعانت بهم ، لأفرغها على رأسها ، وعندما علم (محمد شكري) بذلك غضب وهدده " بتهشيم رأسه إن عاد إلى جنونه معها وخرج (أبوه) إلى دار جارنا وانخرط فى نوبه من البكاء ، وهويردد المسخوط يهددنى بالقتل (١) ولقد ظل يحمل له شعور الكره طيلة حياته يقول استيقظ كل ما تجمع فى الماضى من كراهيتى الراقدة له ، لقد عاد الإرهاب بيننا لا أعرف ما سبب تصفية حساباه معى ، أنه يلاحقنى فى الحضور والغياب

(١) م . نفسه ص ٩٣

(٢) راجع الشطار محمد شكري ص ٩٢

(٣) م . نفسه ص ٧٨

(١) م . نفسه ص ١١٤

يخيل لي دائما أن له وجه مجرم ، وجه من خرج من السجن حديثا من سجن عانى فيه الاشغال الشاقة وعاقبه العصيان (١) .

ومن صور تعرى للعلاقة بين الابن وأبيه ما نجده فى ثلاثية حنا مينا لنجد شعور السخط وعدم الرضا على الأب الذى يعيش لحظته لا مباليا بأى شئ سوى مزجه يشرب حتى يبول فى شتره ، ولا يعمل عملا إلا ويخسر فيه ، متنقلا من مكان لآخر بتجارته الكاسدة الخاسرة ، لقد أصبح عائلة على الأسرة ، لإسرافه المال ولسكره حتى يغيب عن الوعي ، يحكى لنا عن سكره ورجوعه البيت فى حالة مخزية قائلا " كان يسكر فى أية قرية يصلها ، وكان يعود إلى البيت وهو سكران وكثيرا ما سقط فى الطريق العام ، وي طرح بما يحمل من صدر فيه بقية مشبك ، أو فيه بعض الحبوب التى بادل بها ، وتسقط سلة البيض الذى يجمعه وينكسر ما فيها ، ويظل ملقى على قارعة الطريق ، حتى تسرق أشياءه (٢) .

ويذكر لنا كثيرا ما يأتى به من يحملونه فاقد الوعي ، ولم يستطيعوا إدخاله البيت ، وتناول عليهم ذات مرة ، ضربه أحدهم ، يقول معلقا على هذا الموقف فى أسلوب يطفح ألما " إن أرهب الأشياء وأشدّها إهانة وإيلاما أن يرى الطفل أباه يضرب ، أنه يتسربل بالعار ، يود أن يقتل الضارب ، أو تنشق الأرض فتبلعه حتى لا يرى مشهدا كهذا (١) ويذكر لأبيه أنه كان لا يراجع فى خطئه ، وكان متعصبا لرأيه ، مصرا على الشرب والخسارة التى تلحق الأسرة من جراء حمقه وانحرافه ، فعندما طلبت منه الزوجة عدم الرجوع إلى الشرب رد عليها ردا عنيفا : " أنت يا بنت الكلب ، تتهمينى بالسكر حتى

(١) م . نفسه ص ٩١  
(٢) المستنقع حنا مينا ص ١٠٤  
(١) م . نفسه ص ١٠٧

لو كنت أصلى ، ولو كنت فى الكنيسة قلت أننى كنت فى الخمار ، أنا لم أسكر (١) ) وقد مر بنا ذكره للموقف المخرج من جراء سكر أبيه ، عندما اصطحبه للعمل خارج المدينة وعند وصوله إلى (قرق خان) شرب حتى غاب عن الوعى ، وتلفت (الصبى) فلم يجد من كان يحتمى بهم فى مثل هذا الموقف (أمه وأخته) واجتمع عليهما الناس ، فأخذ (الصبى) يبكى ، عندما دفعه بيديه الصغيرتين ضربه ، وقام أحد الحاضرين برد هذه الضربة لأبيه لولا صراخه (٢) .

لقد أثار هذا الموقف فى روعة مآسى أبيه من قبل ، ومواقفه المخزية المتكررة ولكم كان يشعر – بين زملائه فى المدرسة بالخزى والانكسار ، ومناداة أحدهم له أنت يا ابن السكران ، حتى فى أحلك اللحظات ، بعد عودتهم من إسكندرون ، وانتظروا فى المقابر فى ضاحية من ضواحي اللاذقية يشرب الخمر ، ويرتكب الفاحشة مع غندف (٣) . وفى حفل الزيتون تنور حميته لنصرة بدور التي حاول أن يتمادى معها المطعون بكلام يتجاوز حدود الحياء ، فرفضت ، فاتهمها بالسرقة ، وذهب من جراء هذا الموقف إلى السجن عشرة أيام ولو ثبتت التهمة ضده لطرده هو وزوجته وأولاده من المزرعة وإضاع عليه أجر كان – هو والأسرة – فى حاجة إليه ، لقد حزنتم الأم عليه وامتعضت لسلوكه اللامبالي ، عبر عن شعور أمه بعد هذا الموقف قائلاً " لقد قطعت الأمل – منذ زمن بعيد – من انصلاحه ، هذا هو سيكر خاسر مشاغب لا يسكت على واحدة ، ولا يأبه حين يتصرف – بالعواقب ، هذه هى التي تتصل بالخوف والحذر ، وهو لا يخاف ولا يحاذر ، ويستطيع عند اللزوم أن يقتل وأن ينام ملء جفنية ، ليلة شنقه نفسها (١) .

(١) م . نفسه ص ١١١  
(٢) راجع م . نفسه ص ٣٨٧  
(٣) راجع التظاف ص ٢٤  
(١) م . نفسه ص ١٨٦

إن ذكر سيرة أبيه في لامبالاته وحمقه وسكره وعلاقاته النسائية المشبوهة ، وعدم رعايته لمهنته ، مما أدى إلى تراجع مستوى الأسرة المادي شيئاً فشيئاً حتى صاروا من المعدمين ، مما اضطر الأم والأختين إلى قبول الخدمة في بيوت السادة تصوير كل هذا في الثلاثية بهذه التعرية للعلاقة الأسرية كانت الدافع لموقف أخته منه بعد كتابتها له بعزمها شراء ما تبقى من نسخ الرواية يقول حنا مينا "عندما كتبت "بقايا صور" وقرأتها لها بناتها ، لم تكن راضية ، هذا حدث قالتها ، ولكن لماذا يريد حنا أن ينبش الماضي ويتحدث عن والده بهذه القسوة؟! . أما عندما قرأوا لها الكتاب (المستنقع) ، فقد عاتبتنى ، اسمع هذا يكفي لقد أسرفنت ، قف عند هذا الحد ، وبعد أن عبرت عن استيائها قالت : أنا أشتري ما تبقى من قصة أبيك - اكتب عن نفسك ، ولكن دع والدك بحاله .. كم تريد؟ (١) .

- ٤ -

١-٤ من الأمور المنافية للصدق والصراحة دعوى إنكار الذات ، أو الزهو والغرور وتمحيد الذات (٢) ، ومن السير الذاتية التي تضمحل فيها الذات ، ويضمرو وجودها ، سيرة حياة شوقي ضيف (معى) ، فلا وجود لذات صاحبها ولا موقفاً لها من الحياة ، ولا مشكلة تعترتها ، وتقف حائلاً دون تحقيق أهدافها ، فحياته تسير كالماء الذى ينحدر على الأرض المنبسطة الملساء ، ورغم أنه - كما مر بنا - عرض لحركة الأحزاب السياسية فى مصر فترة سيرته إلا أننا لا نجد له موقفاً سياسياً ، ولا انتماءً حزبياً معيناً ، لا مشكلة له مع أسرته (كالتى تنشأ من اختلاف وجهات النظر مثلاً) الأسرة تعيش حياة رعدة (مزرعة لأبيه وأخرى لجدة) وأبوه ، يجمع بين العلم والدين وصواب الرأى وحب الناس له ، أمه وأبوه ، متحابان ، الأم تجل زوجها ، وتقدره لأنه

(١) هواجس فى التجربة الروائية حنا مينا - دار الآداب - بيروت عام ١٩٩٠ ص ١٠٣

(٢) راجع : الترجمة الذاتية فى الأدب العربى الحديث د. يحيى عبد الدايم ص ١٣٧

دمت الخلق ، ولا نرى مشكلة واحدة ، تعترى حياتهما رغم أن الخلاف يوجد فى كل الأسر ولو بنسب متفاوتة .. ويذهب إلى المدرسة الابتدائية ، فينجح بتفوق دون عقبات ، ويحفظ القرآن دون أى عارض يعترضه من نسيان أو تقصير أو صعوبة معينة (كما اعترف طه حسين بالنسيان أكثر من مرة) يقول عن سرعة حفظه " وما أن مرت عليه بضعة أيام حتى لاحظ سيدنا سرعة حفظه .. إذ رآه حين يلزمه بحفظ صحيفة أو أكثر من المصحف الشريف يبادر سريعاً إلى تسميعها " (١) ، وقد أتم حفظ القرآن الكريم فى أقل من عام (٢) ، ويلحق بالمعهد الدينى بدمياط " وما هى إلا بضعة شهور حتى أخذ الصبى يحسن تجويد القرآن الكريم ، ومعرفة مخارج الحروف فيه بدقة " (٣) .

وعلى خلاف طه حسين يجد ارتباطاً وانسجاماً لطريقة الأزهرين التى تعتمد على المتون والحواشى والشروح القديمة ، وينعى على التربية الحديثة أنها لم تلتزم بهذه الطريقة حتى تعليم النحو بالمدارس يقول : " ولو أن أستاذنا من أساتذة التربية الحديثة وقف على هذه الطريقة فى تعليم النحو لأنكرها أشد الإنكار .. ومن أغرب الأشياء أن هذه الطريقة السليمة لم تنجح حتى الآن فى تمثل تلاميذ المدارس للنحو (٤) ، ومع انسجامه بطرق التدريس التقليدية يفتح قلبه للمناهج والدراسات الحديثة (فى عصره) فيقرأ لطله حسين والعقاد والرافعى وهيكلم مقالات فى الصحف اليومية ، يجد فيها متعة وجمالاً ، ويشيد بأسلوبهم (١) . وعندما كان يقرأ نقد بعض المحدثين لطريقة الأزهرين كان يعارضه (بينه

(١) معى د. شوقى ضيف ص ٤٠

(٢) راجع م . نفسه ص ٤١

(٣) م . نفسه ص ٤٤

(٤) م . نفسه ص ٥٠

(١) راجع م . نفسه ص ٥٦ ، وص ٥٧

وبين نفسه طبعاً) ، وينجح فى المرحلة الابتدائية بتفوق وينقل للمرحلة الثانوية ويتكرر النجاح بتفوق ، وليست هناك مادة لا تختلف مع ذوقه واستعداده ... الخ ويحضر لمجالس العلماء فى الأزهر ( فى صورة التعليم الحر) حيث يختار الطالب الأستاذ (الشيخ) الذى يدرس له المادة التى يحتاجها .. ويشيد بهذا التصور ، وفى الوقت نفسه ينسجم مع الطريقة الحديثة للتدريس فى الجامعة (مثلاً مصطفى إبراهيم فى النحو- وأمين الخولى فى البلاغة .. ) ويقرأ المقالات - كما ذكرنا ويكتب المقالات فى الصحف ، وأول مقال كتبه عام ١٩٣٤ ( حول الوضوح والغموض) فى مجلة الرسالة ويتخرج عام ١٩٣٥ بتفوق ( جيد جداً ) ويعمل معيدا ، ويحصل على الماجستير ثم الدكتوراه..

سيرة بهذه الصورة لا نجد وجوداً بارزاً وثقلاً لصاحبها لعدم وجود عقبات وتصدمات فى حياته مما يؤدى إلى انعدام الصراع الذى يعطى السيرة الحركة والحياة ويشعل المواقف والأحداث حرارةً ونبضاً فالبطل متصلح مع كل شئ وراض بكل شئ ، وما حدث له فى حياته أشبه بالقصص التى تحكى لنا ( كما يريد الراوى ليس إلا ) فلا نجد فى هذه السيرة الطزجة ولا المتعة. أين عاطفته ؟ ! أليس بشراً يحب ويعانى ويسهر ويكتب خطابات أم هذا حرام ؟!

أين أبواه ؟! أين أصدقاؤه ؟ وما نتوقع من اختلاف فى الرأى ؟ أين كوا من النفس وأهواؤها رغباتها .. وأمنياتها .. سقوطها نجاحها ؟ ! ..

٢-٤ عكس إنكار الذات الزهو والمباهاة والفخر والخيلاء ، ونقف هنا على نموذجين يمثلان هذا الملمح الفنى ، الذى أخل بالصراحة والصدق فى سيرتهما هما العقاد فى (أنا) وعبد الرحمن بدوى فى (سيرة حياتى) فالعقاد يتحدث فى تبجح وثقه زائدة يقول مفتخراً بنفسه " لقد علمتني تجارب الحياة أن الناس تعيظهم المزياً التى تنفرد بها

ولا تغيظهم النقائص التي تعيبنا ، وأنهم يكرهون منك ما يصغرهم لا ما يصغرهم ، وقد يرضيهم النقص الذي فيك .. وأعجب ما عرفته من أمر نفسي أنني سئ الظن بالناس ، لأننى أحسن الظن بهم " (١) .

ويصل الغرر حدته فى قوله " لقد حاربت الطغيان ، وحاربت الفوضى ، لقد حاربت رؤس الأموال ، وحاربت مذاهب الهدم والبغضاء ، لقد حاربت التبشير ، وحاربت التقليد الأعمى والرجل المريب باسم الدين ، لقد حاربت الجمود والرجعية ٠٠٠ لقد حاربت الأحراب وحاربت الملوك .. لقد حاربت هتلر ونابليون ، وحاربت المستعمرين .. لقد حاربت أعداء الأدب المسمى بالقديم ، وحاربت أصدقاء الأدب المسمى بالجديد .. (٢) .

ويقول متبجحا " أديب مشهور وليس بليسانس ولا دكتور ، وعضو فى مجلس الأعيان وليس فى حوزته نصف فدان ، وليس ببيك ولا باشا ، لكنه يقول للبيك والباشا كلا وحاشا .. وصاحب قلم مسموع الصرير مرهوب النفير ، ولكن ليس بصاحب صحيفة ولا بمدير ، ولا برئيس تحرير ، ولا سكرتير تحرير - يا حفيظ شئ يجنن (٣) شخصية بهذه الصورة معتز بنفسه واثقا من قدراتها ، ولا يضعف ولا يطرق الضعف قلبه ، ولا يتوارى ولا يسكت ، ولا ينبض قلبه بالحب ، فيجزع لعاطفته ، ولا يتنازل فى معاملة الناس ، ولا يجعل للرفق طريقا فى حياته .. أين الصراحة فى هذه السيرة !؟ أليس العقاد إنسانا !؟ وكأى إنسان يفرح ويحزن ينجح ويخفق ، يحب ويكره ، وتضيق به الأمور ثم تفرج ، تنقلب به الحياة من عسر إلى يسر ، ومن يسر إلى عسر .. لقد افتقدنا فى السيرة العقاد الإنسان (كأى إنسان) - ووجدنا العقاد (السوبر مان) .

(١) أنا العقاد ص ١٣٩ .

(٢) م . نفسه ص ١٦٤ .

(٣) م . نفسه ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

النموذج الثانى للزهو والتباهى والفخر والخيلاء عبد الرحمن بدوى فى (سيرة حياتى) وهو يشبه العقاد فى سيرته فى اعتزازه الشديد بنفسه ، وفى اقتصار سيرته على حياته العلمية ، وفى عدم الزواج (كالعقاد) فاقترنت السيرة على التغنى بإنجازته العلمية ، ولقد كان شعاره كما قال " امتلئ ثقة بنفسك ، وازدراء الحاقدين " (١) والسيرة برمتها تمجيد لصاحبها وتعظيم لقدره يقول لقد تجاوزت كتبى المائة والعشرين ، أستطيع أن أقول بكل فخر واعتزاز أننى حققت هذه اللحظة تحقيقا كاملا (٢) ويصف تحقيقه لكتب " أرسطو وأفلاطون وأفلاطين .. وبرقلس بقوله " وتمت فى هذه الباب بما لم يستطع العشرات من المستشرقين الأوربيين مجتمعين القيام به ولا بعشره " (٣) .

ويقول عن كتاب أرسطو عند العرب " وأمام هذا العمل العملاق الجبار جن جنون العاجزين الحاقدين من هؤلاء المستشرقين الأذنياء وتلاميذهم الأذنياء ، فحاولوا نقده وهيئات هيئات أن يؤثر طنين هؤلاء الذباب فى جبل شامخ " (٤) .

يقول عن كتابه (أمانويل كنت) " لا يوجد كتاب عن أما نويل كنت بهذا الاتساع والتفصيل فى أية لغة من اللغات التى أعرفها (٥) ويقول عن سارتر " ومنذ قراءتى له لم أشعر نحو سارتر بأى تقدير من الناحية الفلسفية ، وعددته مجرد أديب وباحثا (٦) ويشك فى مستوى الدرجات العلمية ، ويعترف بأنه لم يحضر مناقشات رسائل إلا قليلا ونادرا لأن المناقشين – كما يرى – لم يقرأوا هذه الرسائل (١) أما رسالته ، فقد أثنى عليها باول

(١) سيرة حياتى د. عبد الرحمن بدوى ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ٢٠٠٠م / ١٥٧/١

(٢) م . نفسه طبعة ١٥٠/١

(٣) م . نفسه ١٨٠/١

(٤) م . نفسه ١٨١/١

(٥) م . نفسه الصفحة

(٦) م . نفسه ١٨٤/١

(١) راجع م . نفسه ١٩٨/١

كراوس ووصفها " بأنها تجتاز القرن لتلحق بكبار الفلاسفة والمتكلمين في القرن الثالث والرابع والخامس للهجرة " ويصفه طه حسين بعد المناقشة (كان عضواً في لجنة المناقشة) لأول مرة نشاهد فيلسوفاً مصرياً<sup>(١)</sup> ويقلل من شأن المفكرين المصريين في عصره، فالعقاد طول حياته مأجوراً لحزب من الأحزاب الوفد عام ١٩٣٥، وخصوص الوفد من ١٩٣٥ : ١٩٣٨ والسعديين من عام ١٩٣٨ : عام ١٩٥٠ وكان مأجوراً للإنجليز طول مدة الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ : ١٩٤٥، ويستخدم سلاطة لسانه، وما يزعمه لنفسه من قوة عارضة في التناول على خصوم من يقف للدفاع عنهم<sup>(٢)</sup> والحكيم يكتب مقالات هزيلة تدل على جهله التام<sup>(٣)</sup>.

وأحمد أمين رجل حقود ضيق الأفق، تأكل قلبه الغيرة من كل متفوق، ومن كل متقن للغات الأجنبية، لأنه لا يعرف لغة أجنبية فيما عدا قشورا تافهة من أوليات اللغة<sup>(٤)</sup>، حتى طه حسين الذي وقف بجواره - خارقاً القانون - فأرسله في بعثته علمية إلى أوروبا وهو في السنة الثالثة من المرحلة الجامعية، وناقشة الماجستير والدكتوراه يتنكر له ليقول عنه " وهو في تاريخ الأدب لم يلق دريساً منظمة متسلسلة الحلقات، محكمة الترتيب<sup>(٥)</sup>.

ولم يقتصر في تقليل شأن غيره، من الفلاسفة والمفكرين فقط، بل والزعماء السياسيين فالنحاس رجل أبله معتو، ورجل وصولي<sup>(١)</sup> وعبد الناصر تصرفاته حمقاء طائشة لا تحسب حساباً لأى شئ غير الدوى الأجوف العقيم حول شخصه، مهما ترتب

(١) م . نفسه ١٧٩/١  
(٢) راجع م . نفسه ١٣٣/١  
(٣) راجع م . نفسه ٢٠٢/١  
(٤) راجع م . نفسه ١٥٣/١  
(٥) م . نفسه ٥٧/١  
(١) راجع م . نفسه ٢١٤/١١

السيرة الذاتية ♦—————♦ في الأدب العربي الحديث ♦—————♦ رؤية نقدية

عليها من خراب وويلات لمصر<sup>(١)</sup> ، ومحمود فوزى وزير الخارجية المصرى رجل معتو؛ جهول لا يدري فى السياسة شيئاً<sup>(٢)</sup> .

فالسيرة – برمتها – نقد واحتقار للآخرين وتعظيم لنفسه منصبا نفسه شاهدا على العصر رغم أنه لا يتجاوز مكانة (أستاذ جامعى فى علم الفلسفة) فسيرة بهذه الصورة المتعالية تفتقد الصدق والصراحة ، لأنها لا تبرز الضعف الإنسانى ولا حركة النفس من الداخل ، فهى تتغنى بمشواره العلمى وإنجازاته ، ولا تعرض لحياة صاحبها فى إطار مجتمع يعيش فيه ، ولا نجد فيها وجودا لعائلته ، أو لأصدقاء وجد منهم الحلو والمر – حتى علاقاته العاطفية فقد مر عليها مريراً عابراً ، نعم عرف ثلاث فتيات أوربيات (أنا شوشكا) والتى أشار بجمالها وكن علاقته بها لم تستمر أكثر من أسبوع (١/٣٢٠) "هندريكة كوبز" التى قضى معها سهرة بصحبة أخيها (١/٨٣) ويوهنا جابلراستمر معها أسبوعين (١/٣٢١) فهذا الجفاف أفقد السيرة الحيوية والجمال ، وغاب عن السيرة كشف كوا من نفس صاحبها وحركة النفس فى ذبذباتها الدقيقة ، إزاء انفعالها اتجاه مواقف الحياة والواقع .

(١) م . نفسه ٢٣٨/١

(٢) م . نفسه ٢٤٠/١